أبواب الخير

ما ترك الرسول ﷺ باباً من أبواب المودة والخير إلا ودعا إليه.

ولا أمراً من أمور البغضاء والشر إلاَّ وأمر باجتنابه والبعد عنه.

وكل خير ينشده المسلم لنفسه أمر الرسول ﷺ أن يُحبَّه لأخيه، وجعل هذا من مقتضيات الإيمان ودواعيه « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** » [1] فما يدعو المؤمن دعاءً إلاَّ ويجمع بينه وبين إخوانه المسلمين، وما يخصهم بدعاء إلا ويستجابُ، ويكون له من الله بمثل ما دعا به.

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ** » [2]

وروى مسلم عنه – أيضاً – أن رسول الله ﷺ كان يقول: « **دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ** » [3] أي: مثل ما دعوت به.

بابٌ واسعٌ من الخير والتراحم بين الناس، والله في جميع الأحوال هو الذي يرزق عباده ، ويعطيهم من فضله، ويحبُّ منهم أن يطلبوا منه وأن يَلْجَأُوا إليه، وما من دعاء صالح إلا ولهم فيه خير.

روى الترمذي عن عُبَادَة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ، إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ

---

(١) رواه البخاري،

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ » [1] أي: أكثر إحساناً مما تسألون.

والمؤمنون لا يخصون أنفسهم، ولا مَنْ معهم من أصحابهم وذويهم بالدعاء، بل يدعون لهم ولغيرهم ممن سبقهم بالإيمان. وتلك روابط الإيمان التي تمتد مع الزمان والمكان. إنها روابط الحب والوفاء.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [2]

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [3]

أُمر الرسول ﷺ بعد معرفته لله - وقد كان خُلُقُهُ القُرآن - أن يسأل الله غفران ذنبه، وأن يستغفر لذنوب أهل الإيمان به من الرجال والنساء.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] أيْ: متصرَّفكم فيما تتصَرفون فيه، وإقامتكم على ما تقيمون عليه من الأقوال والأعمال فيجازيكم عليه.

---

(١) رواه الترمذي

(٢) الحشر : ١٠.

(٣) محمد : ١٩.

(٤) محمد : من الآية ١٩.

وفي الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر الصلاة: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ » (١)

والقرآن الكريم تخلّق الرسول ﷺ به ودعا إليه، وأمر بالاعتصام والتمسك به، ترى الدعاء فيه بأسلوب الجمع. المنبئ عن المشاركة في الطلب، والاتفاق في الغاية، والعواطف والتراحم، وحبِّ الخير للمؤمنين جميعاً.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ (٢)

وروى الإمام أحمد ومسلمٌ والنَّسائي وغيرُهم عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٣) قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

(١) رواه مسلم.
(٢) البقرة : ٢٨٦.
(٣) البقرة : ٢٨٤.

وَسَلَّمْنَا. قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ ﴾ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴾ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. (١)

أخي المسلم:

هكذا ترى الدعاء في القرآن الكريم يأتي في صيغة الجمع تربية للمؤمنين على التعاطف والتراحم.

وترى القرآن الكريم وهو يذكر دعوات الأنبياء ترى دعاءهم لأنفسهم وللمؤمنين.

وتسمع إبراهيم عليه السلام في دعائه يقول: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢)

وتسمع نوحاً عليه السلام يقول: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣)

ودعاء المؤمنين الذين أُمروا بالأسوة بإبراهيم ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ

(١) رواه مسلم.

(٢) إبراهيم : ٤١.

(٣) نوح : ٢٨.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [1]

إن الروابط بين المؤمنين تقوم على أساس ثابت ترتبط به القيم والأخلاق. وتنبع الأعمال والسلوك، ومن تسمية الله لهم تتحدد خصائصهم وتعرف أعمالهم:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [2]

إنهم يخلصون العبادة لله وحده، ويلجئون إليه دون سواه. يدعونه في السراء والضراء. يرجون رحمته ويخافون عذابه. ولا ينشد واحدٌ منهم الخير لنفسه دون سواه بل يرى خيرَه فيما يقدمه لإخوانه، وفيما يبذله لهم من عون ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

أخي المسلم:

عندما يَبْعد الناس عن حقيقة الإيمان يقع بينهم الوَهنُ والضعف، وتقوم الأنانيةُ والأثرة، وتضعف الروابط، وتتحكم دوافع الهوى ونوازعُ الشهوة، ويستخف الناس بالقيم والأخلاق وتقومُ بين الناس موازين باطلة، يزنون بها أنفسهم ويتفاضلون فيما بينهم.

---

(١) الممتحنة : من الآية ٤، والآية ٥.

(٢) التوبة : ٧١.

موازين ترتبط بزينة الحياة الدنيا ومتاعها، وتبتعد عن التقوى ومقوماتها. موازين لا يُرى الإنسان فيها بفضائله وأخلاقه. وإنما يُرى بصورته وماله، موازين لا ينظر الله تعالى إلى أهلها ولا يقيم لهم يوم القيامة وزناً.

إنه ميزان الله الذي ارتضاه، ولن يقبل من أحد غيرَه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (١)

إنه الميزان الذي علت به أمتنا، وارتفعت كلمتها وعزَّ جانبها، إن الكريم هو الكريم عند الله، ولن يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح.

بهذا الميزان تُعرف قيمُ الرجال وتتفاوت درجاتهم، بهذا الميزان يتحطم الهوى المكذوب، ويذوب العُجْبُ الأبله، ويذهب التفاخر بالآباء والأنساب، والتطاولُ بالمال والمتاع، ويتاح للقيم أن تعمر حياة الناس وأن تحقق أعظم النتائج وأبرها.

لما ولّى عمرُ بنُ الخطاب سعدَ بنَ أبي وقاص وأمَّره على حرب العراق. أوصاه فقال: ((يا سعدَ بني وُهَيْب، لا يَغُرَّنك من الله إن قيل: خالُ رسول الله ﷺ وصاحبُه - وكان سعد رضي الله عنه من بني زُهرةُ أخوالِ رسول الله ﷺ، وكان من أسبق قريش إلى الإسلام - فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيء بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسَبٌ إلا طاعتُه، شريفُهم وَوَضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعاقبة، ويُدْركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبيَّ ﷺ منذُ بعث إلى أن فارقنا فالْزَمْه فإنه الأمرُ. هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين)).

(١) الحجرات : من الآية ١٣.

أخي المسلم:

نحن أُمرنا بالطاعات وبصدق النيات، نحن أُمرنا بالإخلاص والصدق والتجرد لله وحده، نحن أُمرنا بشكر نعم الله والاعتراف بفضله. نحن بما نقدم من عون لإخواننا وما نحمله من خير لهم. نحن بالله لا بسواه. فادع الله لنفسك ولإخوانك واصدق في حب الخير لهم؛ ينالك من الخير أضعاف ما ترجو.

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

✿✿✿

(١) الشورى : ٣٦.

obeikandl.com